القصص الديني

الحلقة الثالثة
قصص الخلفاء الراشدين

أبو بكر خليفة الرسول

١

عبد الحميد جودة السحار

بسم الله الرحمن الرحيم

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا »
(قرآن كريم)

١

مات رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فاصبح المسلمون بلا حاكمٍ يحكمهم ؛ وكان فى المدينةِ المهاجرون الّذين هاجروا مع النبيّ إلى المدينة لما اشتدَّ اضطهادُ قريشٍ للمسلمين ؛ والأنصار ، وهم سكانُ المدينة ، الّذين استقبلوا النبيّ ونصروه على أعدائه .

ودخل عليُّ بنُ أبى طالب ، والعباسُ عمُّ النبيّ ، وأبو بكرٍ الصّدّيق دار الرّسول ، يُغسّلونَ النبيَّ قبلَ دفنِه ، وهم من المهاجرين الّذين هاجروا مع النبيِّ إلى المدينة ، واجتمعَ رجالٌ من الأنصار فى مكان له سقفٌ من الخشب يُسَمَّى سقيفةَ بنى ساعدةَ وراحوا يتحدّثون فى انتخاب حاكمٍ للمسلمين .

وجاء رجلٌ إلى مسجدِ الرّسول ، فلمّا وجد عمرَ بنَ الخطّاب واقفا هناك قال له :

– اجتمعَ الأنصارُ في سقيفةِ بني ساعِدَة لمُبايعَةِ سعد بن عُبادَة خليفةً لرَسول الله .

فأرسلَ عُمرُ إلى أبي بكرٍ الصِّدّيق ، وقال له :

– اُخرجْ إلينا .

فلما خرج أبو بكر ، قال له عُمر :

– أما علِمتَ أنّ الأنصارَ قد اجتمعتْ في سقيفةِ بني ساعِدَة ، يُريدونَ أن يُوَلّوا هذا الأمرَ سعدَ بنَ عُبادَة ؟

فذهب أبو بكرٍ وعمرُ وأبو عُبيدةَ بنُ الجرّاح ، إلى سقيفةِ بني ساعِدَة ، وبقِيَ عليٌّ والعبّاسُ وبعضُ بني هاشم ، وهم أقاربُ النبيّ ، يشتغِلون بإعداد جَهازِ النّبيّ ، وأحسَّ العباسُ أنّ في الأمرِ شيئا ،

وأنَّ النـاسَ يفكِّرون فيمن يَخْلفُ رسولَ الله ، فالتفتَ إلى عليٍّ وقال :

– اُمدُدْ يدَكَ أبايِعْك (أى أختارُك خليفةً لرسولِ الله) فيقولُ النّاس : عَمُّ رسولِ الله بايعَ ابنَ عمِّ رسـولِ الله صلى الله عليهِ وسلَّم ، فلا يختلفُ عليكَ اثنان .

فقال عليٌّ فى ثقة :

– أوَ يَطْمَعُ يا عمُّ فيها طامعٌ غيرى ؟

– ستعلَم .

٢

اجتمعَ الأنصارُ فى سقيفةِ بنى ساعدة وقالوا :

– نُولِّى هـذا الأمرَ بعدَ محمَّدٍ عليه السّلامُ سعدَ بنَ عُبادَة .

وجاءوا بسعد بنِ عُبادَة ، وكان مريضا ، فلما اجتمعَ بهم ، قال لابنه :

– إنى لا أقدِرُ لِشكواى (أى لمرضِى) أن أُسْمِعَ القومَ كلامى ، ولكن تلقَّ منّى قولى فأسْمِعْهُموه .

وراح يتكلَّمُ ويحفظ ابنُه قولَه ، فيرفعُ صوتَه ليسمَعَ أصحابه :

– يا معشَرَ الأنصار ، لكم سابقةٌ فى الدّين ، وفضيلةٌ فى الإسلام ، ليستْ لقبيلةٍ من العرب ، أنَّ محمَّدًا عليه السَّلامُ لبِثَ بضعَ عشرةَ سنة فى قومِه ، يدعوهُم إلى عبادةِ الرحمن ، فما آمنَ به من قومِهِ إلاَّ رجالٌ قليل ، وما كانوا يقدِرونَ على أن يمنَعوا (يحمُوا) رسولَ الله ، ولا أن يُعزُّوا دينَه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسِهم ضَيْمًا (ظلما) ، حتَّى

إذا أراد بكُمُ الفضيلة ، ساق إليكُمُ الكرامة وخصّكم بالنِّعمَة ، فرزقكُمُ اللهُ الإيمانَ به وبرسوله ، والمنعَ له ولأصحابه ، والجهادَ لأعدائه ، حتى استقامت العربُ لأمرِ الله طَوْعًا وكَرْهًا ؛ استبَدّوا بهذا الأمر .

وجاء أبو بكرٍ وعمرُ وأبو عبيدة بنُ الجرّاح إلى السّقيفَة ، فلما رآهمُ الأنصار ، قام رجلٌ منهم وقال :

- نحن أنصارُ اللهِ وكتيبةُ الإسلام ، وأنتم يا معشرَ المهاجرينَ رَهْط نبينا (قومُه وقبيلتُه) ، وقد ظهر أنكم تُريدون أن تَتَولّوا الأمرَ دوننا . إنَّا أحقُّ بهذا الأمرِ منكم .

فقال أبو بكرٍ الصِّدّيق :

- خَصَّ اللهُ المهاجرينَ الأوّلينَ من قومِ الرّسولِ بتصديقِه والإيمانِ به ، والصَّبرِ معه على شدَّة

أذى قومهم ، فهم أوَّلُ من عَبَد اللهَ فى الأرض ، وآمَنَ باللهِ وبالرَّسول ، وهم أولياؤُه وعشيرَتُه ، وأحقُّ النَّاس بهذا الأمرِ من بعدِه ، ولا يُنازعُهم ذلك إلاّ ظالم ، وأنتم يا معشرَ الأنصار مَنْ لا يُنكرُ فضلُهم فى الدِّين ، ولا سابقتُهم العظيمةُ فى الإسلام ، رضيَكم الله أنصارًا لدينِه ورسوله ، وجعل إليكم هجرتَه ، فليسَ بعد المهاجرينَ الأوَّلينَ عندنا أحد بمنزلتِكم ، فنحنُ الأمراءُ وأنتم الوُزراء ، لا تُقضَى دونَكمُ الأمور .

فقال الأنصار :

– منا أميرٌ ومنكم أمير .

فقال عمرُ بنُ الخطّاب :

– والله لا ترضى العربُ أنْ يؤمِّروكم (أى يجعلوا الحاكم منكم) ونبيُّها من غيرِكم ، ولكنْ

العرَب لا تمنعُ أن تُوَلِّيَ أمرَها من كانتِ النُبوّةُ فيهم ، ووَلِيُّ أمورِهِمْ منهم ، ولنا بذلك عَلَى منْ أبَى من العرب الحُجَّةُ الظّاهِرة .

فأبَى بعضُ الأنصارِ ، فقال لهم أبو عُبَيدةَ بنُ الجرّاح :

– يا معشرَ الأنصار ، إنكم أوّلُ من نَصَر وآزر ، فلا تكونوا أوّلَ من بَدَّلَ وغيّر .

فقال أحدُ عقلاء الأنصار :

– يا معشرَ الأنصار ، إنّا واللهِ لئنْ كنّا أولى فضيلةٍ في جهادِ المُشركين ، وسابقةٍ في هذا الدِّين ، ما أردْنا به إلاّ رضَى ربِّنا ، وطاعةَ نبيِّنا ، فلا ينبغى لنا أنْ نستطيلَ على النّاسِ بذلك (أن نتحكَّم فى النّاس) ، ألا إنّ مُحمّدًا صلّى اللهُ عليه وسلّمَ من قُرَيش ، وقومُه أحقُّ به وأوْلى ، وايْمُ اللهِ

لا يرانى الله أنازعهم هذا الأمرَ أبدا ، فاتَّقوا الله ولاَ تخالفوهم ، ولا تنازعوهم .

فقال أبو بكر :

– هذا عُمَرَ ، وهذا أبو عُبَيدة ، فأَيَّهما شئتم فبايعوا .

فقال عُمَرُ وأبو عبيدة :

– لا والله لا نَتولَّى هذا الأمر عليك ، فإنّك أفضـلُ المهاجرين، وثانى اثنين إذْ هُما فى الغار ، وخليفةُ رسولِ الله على الصَّلاة ، والصلاة أفضلُ دينِ المُسـلمين ، فمن ذا ينبغى له أن يتقدَّمك ، أو يتولَّى هذا الأمرَ عليك ، ابْسُط يدَكَ نبايعْك .

وبايع عُمَرُ وأبو عبيدةَ أبا بكرٍ الصِّدّيق ، وقام الأنصارُ وبايعوا أبا بكر .

ذهب أبو بكرٍ وعُمَرُ إلى المسجد ، فالتفتَ عمرُ إلى أبي بكرٍ وقال له :

– اصعَدِ المِنبَر .

فلم يزلْ به حتى صعِدَ المِنبر وجلس ، وقام عُمَرُ وقال :

– إنّ اللهَ قد أبْقَى فيكم كتابَه الّذى هَدَى به رسولَ الله ، فإنِ اعتصمتُم به هداكُم اللهُ لما كان هداهُ اللهُ له ، وإنَّ اللهَ قد جمع أمرَكم على خيرِكم ، صاحب رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه .

فتقدَّم الناسُ يبايعونَ أبا بكر البَيْعةَ العامّة ، بعد بَيْعةِ السَّقيفَة . ولما انتهى النّاسَ من ذلك ، قام أبو بكر وقال :

- أيُّها الناس ، إنى قد وُلِّيتُ عليكُم ولستُ بخيرِكم ، فإن أحسنتُ فأعينونى ، وإن أسأتُ فقوِّمونى . الصِّدقُ أمانة ، والكَذِبُ خيانَة . والضَّعيفُ منكم قويٌّ عندى حتى أُرْجِعَ عليه حقَّه إن شاءَ الله ، والقَوِيُّ فيكم ضعيف حتَّى آخُذَ منه الحقَّ إن شاءَ الله ، لا يدَعُ قومٌ الجهاد فى سبيل الله إلا ضربَهُم اللهُ بالذُّل ، ولا يَشيعُ فى قومٍ قطُّ الفاحشةُ إلا عمَّهمُ الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعتُ الله ورسولَه ، فإن عصيتُ اللهَ ورسولَه ، فلا طاعة لى عليكُم . قوموا إلى صلاتِكم يرحمُكم الله .

بايعَ النّاسُ أبا بكرٍ الصِّدِّيقَ خليفةً لرسولِ الله ، إلاّ عليّ ابنَ أبى طالبٍ وبعضَ أصحابه ، فقد امتنعُوا عن البَيْعة .

أقبلَ اللَّيل ، واجتمعَ أنصارُ عليٍّ فى الفضاء المُجاور للمسجد ، وقال رجلٌ منهم :

– إنَّ عليًّا أحقُّ النَّـاسِ بالخلافة ، فعلينا أن نُعيدَ الأمرَ شورَى بينَ المهاجرين ، وأن ننقُضَ بيْعة السَّقيفة (أى نَهدِم البيْعة) .

فسأل أحدُهم :

– وكيف ذلك ؟

فقال قائل :

– زَعموا للأنصار أنَّهم أوْلَى بهذا الأمرِ منهُم ، لمَّا كان محمَّدٌ منهم ، فأعطوُهم المَقادَة ، وسلَّموا إليهِمُ الإمارَة ، فإذن نحتَجُّ عليهم بمثلِ ما احتَجُّوا به على الأنصار . عليٌّ أولَى برسولِ اللهِ حيًّا وميّتا . كان عليُّ بنُ أبى طالب ، ابنَ عمِّ النَّبىِّ ، وزوجَ

ابنتهِ فاطمة ، فإذا كان الأنصارُ قد قبلوا أن يُولّوا أبا بكرٍ لأنَّه من قبيلةِ الرَّسول ، فإنَّ عليًّا أقربُ إلى الرَّسولِ من الصَّحابةِ الآخرين .. ورأى أصحابُ عليّ أن يدخُلوا بيتَ فاطمة ، وأن يرفُضوا تَوْلِيَةَ أبي بكرٍ خليفةً للرَّسول .

وظل عليٌّ وأصحابُه في بيتِ فاطمة ، وجاء رجلٌ من أنصارِه وقال له :

– فوالله ما في النّاس أحدٌ أَوْلَى بمقامِ محمّدٍ منك .

وبلغ أبا بكرٍ وعُمَرَ خبَرُ اجتماعِ عليّ وأصحابِه بدارِ فاطمة ، فنهض عُمَرُ في جماعةٍ من المسلمين ، واتّجه إلى دار فاطمة ، وقال :

– يا عليّ ، اخرجْ فبايعْ كما بايع النّاس .

ورفض عليٌّ أن يَخْرُجَ ليبايِعَ أبا بكرٍ خليفةً للمسلمين .

وجاء أبو سُفيان ، وهو من القُرَشيِّين ، ولكنَّه كانَ من أعداء الرَّسولِ قبـل أن يُسلِمَ يوم فتح مكة ، وقال لعليّ :

- ابسُطْ يدكَ أبايعْك ، فَو اللهِ لو شئتَ لأملأنَّها على أبي بكرٍ خَيْلا ورجْلا .

كان يُحَرِّضُ عليًّا على محاربةِ أبي بكر ، وكان يُغرِيه أن يُمِدَّه بالخيلِ والرِّجال . ولكنَّ عليًّا ما كان يقبلُ أن يكونَ أوّلَ من يفرِّق جمع المسلمين ، فقال لأبي سُفيان :

- طالما غششْتَ الإسلام وأهله ، فما ضرتَهم شيئا ، لا حاجة لنا إلى خيلِك ورَجْلِك .

٥

ارتفع صوتُ المؤذِّن :

اللهُ أكبَر اللهُ أكبَر
اللهُ أكبَر اللهُ أكبَر
أَشْهَدُ أن لاَ إلَهَ إلاَّ الله
أَشْهَدُ أن لاَ إلَهَ إلاَّ الله
أَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله
أَشْهَدُ أنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله

فأطرق عليٌّ يفكِّر ، فعرف أنَّه إذا خاصمَ أبا بكر ، فسيتفرَّقُ المسلمون ويضعُفوا ، وقد يَقْضِي ذلك على الإسلام ، ثم رفع رأْسَه وقال لزوجتِه فاطمةَ بنتِ محمَّدٍ رسول الله :

– أتُحِبِّينَ أن يزولَ هذا النِّداءُ من الوُجود ؟

قالتْ له زوجتُه:

- لا.

قال لها:

- إذَنْ سأُبايعُ أبا بكر.

وخرج عليٌّ ليُبايعَ أبا بكر، حتى يُحافظَ على وَحْدة المسلمين، وذهبَ إلى المسجِد. وبايعَ أبا بكر، ففرِحَ النَّاس بذلك، وقال أبو بكر:

- والله ما كنتُ حريصًا على الإمارةِ يومًا ولا ليلة، ولا سألتُها اللهَ في سِرٍّ ولا علانيةَ.

واتفقتْ كلمةُ المسلمين، وأصبح أبو بكر الصِّدِّيقُ خليفةَ الرَّسول.